

إسرائيل مهمة جدا، لأنها من ناحية، تمتلك تقنية عالية في تطوير الأسلحة ومقاولة من طراز رفيع، ومن ناحية أخرى، لأنه ليس هناك قيود أخلاقية عليها؛ فليس هناك كونجرس، ليس هناك مخاوف انتهاكات حقوق الإنسان، وليس هناك قوانين ضد الرشاوي، فالحكومة الإسرائيلية يمكن أن تعمل أي شيء تريده، ولا أحد يحاسبها".
بقلم خالد حسن

* شبكة المحافظين الجدد:

دعنا نتفق ابتداء على أن الرئيس بوش وكبار مستشاريه في السياسة الخارجية ليسوا مؤيدين لنزعة المحافظين الجدد، بوش نفسه، وأيضا ريتشارد تشيني نائب الرئيس، وزير الدفاع دونالد رمسفلد ومستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس، كل هؤلاء محافظين، ولكن ليسوا من مؤيدي نزعة "المحافظين الجدد". وفي حقيقة الأمر، فإن مؤيدي نزعة المحافظين الجدد هم هؤلاء الذين بدعوا مشوارهم السياسي ليبراليين، أو على الأقل ديمقراطيين وأصبحوا فيما بعد جمهوريين، ويشغلون اليوم في مكاتب كبار مستشاري بوش للسياسة الخارجية في أعلى هرم السلطة.

وتمارس قلة من "المحافظين الجدد" (بول وولفويتز، ريتشارد بيرل، دوغلاس فييث، لبيبي، جون بولتون وإليوت أبرامز) السلطة الحقيقية في واشنطن، أما الأكثرية، فلا. وبصفة عامة، فإن المحافظين الجدد ومؤيديهم الذي لا يشغلون مناصب رفيعة، يتوزعون بين عدة مواقع، فمنهم المتحدثون الرسميون، ومنهم رؤساء مجالس الخبراء ومراكز البحث، وكتاب (قادة الرأي)، وكل هؤلاء يضغطون ويؤثرون بأفكارهم وآرائهم إلى أن تتحول إلى سياسة رسمية متبناة من قبل بوش نفسه ومستشاريه الكبار، ويضغطون أيضا عبر هؤلاء الذين دفعوا الأموال لوصول بوش إلى الرئاسة، ونعني بهم زعماء مراكز القوى العسكرية والتجارية الذين يسيطرون على سياسة البلد.

هذه القوى، أكبر بكثير من مجرد جماعة صغيرة من الزعماء، وتتضمن الآلاف من موظفي الدفاع، التقنيات العالية، المقاولين، الموظفين الحكوميين، الموظفين العسكريين، أعضاء الكونجرس، شركات الاستثمار، العديد من المحامين والقضاة وأعضاء اللوبي، الأجانب والمحليين، الذين يرون في استمرار هذا النظام، تعزيزا لثروتهم المستقبلية. ومن خلال هذه الهياكل، يمارس مؤيدو نزعة المحافظين الجدد السلطة والنفوذ الحقيقيين، بالرغم من أنه لا أحد منهم يحتل حاليا منصبا على مستوى مجلس الوزراء. وشيء واحد فقط جعل منهم نافذين ومهيمنين، وهو أن بوش، تشيني، رامسفيلد ورايس قبلوا بحماس واندفاع (مع بعض الاستثناءات البسيطة) كل المراحل المبكرة لجدول الأعمال السياسي للمحافظين الجدد منذ أوائل التسعينيات. ويشدد جدول الأعمال هذا، بصفة عامة على منح أولوية لمنطقة الشرق الأوسط أكثر من أي منطقة أخرى، ويتضمن توسيع الإنفاقات العسكرية الأمريكية، وتوجه أحادي للهيمنة العالمية والسيطرة المتزايدة على إمدادات العالم للنفط. ويوصي جدول الأعمال هؤلاء الخاص بالشرق الأوسط تعزيز الشراكة الأمريكية الإسرائيلية

والسيطرة من خلالها على المنطقة، والدفاع عن خيار الحرب، بداية ضد العراق، وبعد ذلك إذا لزم الأمر ضد سوريا، إيران ودول أخرى شرق أوسطية. في الواقع، تبنى بوش المراحل المبكرة لهذه السياسات، في حين وفر تشيني، رامسفيلد ورايس الدعم. ورغم أنه كان لدى كولن باول تحفظات تجاه هذه السياسات، لكنه في الأخير، جندي مطيع، إخلاصه لعائلة بوش تغلب على "وساوسه" وتحفظاته.

* أفول بسبب العراق وإسرائيل!

ويعاني المحافظون الجدد اليوم من تراجع وأفول لسببين، الأول، منذ غزو العراق في مارس 2003، حاولوا في مرحلة مبكرة من الاحتلال المضي قدما نحو استغلال نجاحهم، لكنهم اصطدموا باستمرار ارتفاع حصيلة خسائر القوات الأمريكية في العراق يوما بعد يوم، وهذا السبب أثر على دورهم في صنع السياسات. الثاني، علاقاتهم بالكيان الإسرائيلي، حيث يساند أقطاب المحافظين الجدد ويشجعون تقريبا كل سياسات حكومة الليكود وخيارات آريل شارون اليمينية، بالرغم من أنهم يفضلون عدم الإفصاح عن هذه العلاقات الوثيقة، وقد تسبب هذا في بعض المخاطر لبوش في سنة الانتخابات هذه. إذ يحاول مستشاروه السياسيون المقربون (وأبرزهم كارل روف) تجنب الإحراج الذي قد ينشأ بالتأكيد إذا ساد انطباع على ونطاق واسع من أن أحد الدوافع الأمريكية الحقيقية لغزو العراق كان تقوية موقع إسرائيل العسكري والسيطرة السياسية على المنطقة، لذا، فإنه منذ تولي بوش الرئاسة في يناير 2001، قلل مستشاروه من شأن أي علاقة بين إسرائيل والحرب ضد العراق. وكان طمس الدافع الإسرائيلي للحرب، أحد الأسباب الأساسية في الترويج لادعاءات حيازة العراق لأسلحة الدمار الشامل ومزاعم رغبة واشنطن في إقامة نظام ديمقراطي في العراق.

وعليه، بدأ مؤيدو بوش بشن هجومي مضادين، يدعون أولا أن الحديث عن نفوذ مؤيدي نزعة المحافظين الجدد على السياسة الخارجية الأمريكية هو أقرب إلى التخريف والهيديان، ثانيا، أنه إذا كنت مغفلا، وصدقت هذا التخريف، فإنك بالتأكيد "معادٍ للسامية"، مثال ذلك، ما كتبه ديفيد بروكس (أحد المعلقين المحافظين في صحيفة نيويورك تايمز، ويظهر كثيرا في ساعة أخبار "بي بي إس" مع جيم ليهري) في 6 يناير، 2004 في عمود الصحيفة الخاص به: ". تقرأ في يوم من الأيام عن أن المحافظين الجدد كانوا يضغطون لتنفيذ خطط إنهاء العراق والتحرك باتجاه سوريا، وتُظهر المواقع على الإنترنت مؤامرات المحافظين الجدد.. ولكنني قد أبلغت من قبل كبار مسؤولي الإدارة أنه لم يكن لدى أحد مراجعهم -بيرل- أي اجتماع هام مع بوش أو تشيني منذ أن تولوا المنصب... صحيح أن كلا من بوش ومؤيدي نزعة المحافظين الجدد اتفقا على أن صدام حسين مثل تهديدا نوعيا للسلام العالمي، لكن... تشير كل الدلائل أن بوش خلص إلى قراراته بشكل مستقل... وحتى الآن، يبدو أن هناك الملايين من الناس يؤمنون بمفهوم أن العالم تتحكم فيه القوات المنظمة والحاقدة، وبالنسبة لهؤلاء، فإن اليهود وراء كل شيء تقريبا...، وهنا تنكشف وتتبعث معاداة السامية". هذا المقطع، هو محاولة من ديفيد بروكس، لصرف الانتباه عن نفوذ المحافظين الجدد الثابت والموثق من جهة، ومن جهة أخرى، لقمع ما يعتقد أنه أمريكيون كثيرون من خطورة السياسات الأمريكية تجاه "إسرائيل"، العراق والشرق الأوسط. وقد علق روبرت فيسك الصحفي البريطاني على هذا العمود الافتتاحي بقوله: "حاول بروكس محو كلمة المحافظين الجدد من رواية الحرب على العراق".

* حقيقة العلاقة بين المحافظين الجدد و AIPAC:

إحدى المشاكل التي تواجه المحللين الغربيين المنصفين في محاولة تقييم النفوذ الحقيقي للمحافظين الجدد من خلال مساندة السياسات الخارجية الأمريكية العدوانية التي تقوي وضع إسرائيل، هي الحاجة لتحديد الوزن النسبي للمحافظين الجدد بالنظر إلى العوامل الأخرى التي تؤثر أيضا على السياسة الأمريكية تجاه الكيان الإسرائيلي. وأحد هذه العوامل هي لجنة الشئون

العامّة الأمريكية الإسرائيليّة (AIPAC) أقوى جماعات الضّغط الأمريكيّة الموالية لإسرائيل القادرة أن تولّد دعم الأغلبية في كلا المجلسين التشريعيين للكونجرس لأي إجراء تريده حكومة إسرائيل، ويمكن القول أنه بدون أنشطة مثل جماعات الضّغط هذه، فإن نفوذ المحافظين الجدد في واشنطن سيقلّ.

ويكفي لإدراك ذلك، معرفة أن المحافظين الجدد وجماعات الضّغط يشكّلون معا مجتمع دعم متبادل قوي جدا، وعلاقتهم تكافلية بامتياز. فالمحافظون الجدد، كما هو ملاحظ، قد ضغطوا لمدة طويلة من أجل زيادة الإنفاقات العسكريّة بالولايات المتحدّة، لهذا دعموا بشكل كبير ونوعي المجموعات التي تمول بدرجة كبيرة انتخاب رؤساء اليوم. ونفوذ جماعات الضّغط، أكبر بكثير من مجرد أموال يجب أن تُنفق. والعلاقات الوثيقة التي طورتها عناصر كثيرة من المجمع الصناعي العسكري الأمريكي في العقود الأخيرة بالمجمع الأصغر (الصناعي العسكري الإسرائيلي) القوي، عززت قوة المؤيدين لإسرائيل في واشنطن.

* المركب الصناعي العسكري محور الاستقطاب:

وقد شرّح الناشط الإسرائيلي، جيف هالبر، المؤسس ورئيس اللجنة الإسرائيليّة لمناهضة هدم البيت، ولديه خبرة كبيرة في التعامل مع أعضاء الكونجرس في السنوات الأخيرة، هذه العلاقة قائلا:

"لقد انتزعت إسرائيل لكيانها موقعا استراتيجيا هاما في صناعة الأسلحة العالميّة، والعناد الإسرائيلي العسكري المتطور والبرامج العسكريّة مهمان جدا لتطوير الأسلحة في الولايات المتحدّة، وقد تصبح إسرائيل أيضا المقاول الرئيسي "الخفي" للأسلحة الأمريكيّة، ففي العام الماضي فقط، وقعت إسرائيل عقدا لتدريب وتجهيز الجيش الصيني، ووقعت عقدا آخر ببلاتين الدولارات لتدريب وتجهيز الجيش الهندي، بماذا تجهزهم؟ يجهزهم بالأسلحة الأمريكيّة!". وأضاف: "إسرائيل مهمة جدا، لأنها من ناحية، تمتلك تقنية عالية في تطوير الأسلحة ومقاول من طراز رفيع، ومن ناحية أخرى، لأنه ليس هناك قيود أخلاقية عليها: فليس هناك كونجرس، ليس هناك مخاوف انتهاكات حقوق الإنسان، وليس هناك قوانين ضد أخذ الرشاوي، فالحكومة الإسرائيليّة يمكن أن تعمل أي شيء تريده، ولا أحد يحاسبها".

"لهذا، عندما تتبع (AIPAC) إسرائيل للكونجرس، لا تذهب إلى الأعضاء وتطلب منهم أن يساندوا إسرائيل لأنها الديمقراطيّة الوحيدة في الشرق الأوسط، ولكن بإخبار عضو الكونجرس أنه ينبغي أن تساند إسرائيل لأن هذا هو حجم الصناعات في دولتك التي لها روابط أعمال في إسرائيل، وهذا هو عدد الباحثين العسكريين الذي يتابعون دراساتهم العليا في جامعات منطقتك، وهذا هو كم الأعمال في منطقتك التي تعتمد على صناعات العسكريّة والدفاعيّة. لذلك، إذا صوتت ضد إسرائيل، فإنك تصوت ضد مصالحك الخاصّة". ويضيف هالبر أن في معظم المناطق، "لدى أعضاء الكونجرس اعتماد كبير على القوات المسلّحة، فأكثر من نصف التشغيل الصناعي في كاليفورنيا مرتبط بطريقة أو بأخرى بالدفاع".

وعندما يذهب الناشطون، على الجانب الآخر، إلى عضو الكونجرس ويتحدثون عن حقوق الإنسان، عن الاحتلال، عن الفلسطينيين، فإنه عادة ما تكون إجابة عضو الكونجرس، كما يقول هالبر، على هذا النحو: "أعرف هذا، قرأت الصحف، أنا غير أبله، لكن ذلك ليس الأساس الذي عليه أصوت، الأساس الذي عليه أصوت هو ما الجيد بالنسبة لناخي".

وبالرغم من أن إسرائيل كيان صغير، فإن مؤيديها الأمريكيان يظهرونها باعتبارها أكبر من مجرد حليف للولايات المتحدّة. وفي هذا يقول موقع لجنة الشئون العامّة الأمريكيّة الإسرائيليّة على سبيل المثال، إن عمل إسرائيل هو حماية المصالح الاقتصاديّة الأمريكيّة في الشرق الأوسط، بل ويذكر أن إسرائيل تطور أسلحة الليزر من الفضاء الخارجي لحماية المصالح الأمريكيّة!.